واقدساه

القدس من زمن الرسول
إلى الآن
وقصة الإسراء والمعراج

تأليـــف

طه عبد الرءوف سعد — علماء الأزهر الشريف

سعد حسن محمد على — المدرس بالأزهر الشريف

الناشـــر

مكتبة العلم الإسلامية للتراث

٤ ع النشيلى من ش السيد الدواخلى – أمام جامعة الأزهر

ت : ٧٨٦٣٢٨٠



رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٢/١١٤٤٠

الترقيم الدولى I.S.B.N

٩٧٧-٥٤٤٢-٣٤-٤

جمع تصويرى وتصميمات

السندس لخدمات الكمبيوتر ت: ٥٨٩٧٥٢٩



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا.....)

كان نزول هذه الآية وقبلها قصة الإسراء والمعراج هو بداية اهتمام المسلمين بتلك المدينة المقدسة أولى القبلتين وثان البيتين وثالث الحرمين وحتى كان اهتمام المسلمين بفتحها منذ فجر الإسلام على يد الخليفة الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الذى أعطى النصارى حقهم واحترام بشجاعة دينهم فتركهم وما يدينون ماداموا يؤدون حق الله عليهم فلم ينعم أهل بيت المقدس بالأمن والأمان مسلمهم ونصاراهم و يهودهم بالأمان إلا تحت راية الإسلام.

أما إذا كان حكام البيت غيرهم فإن مخالفيهم يا ويلهم فكم لاقى المسلمون واليهود من العنت والعنف بأيدى الصليبيين .

كذلك والأمر ليس ببعيد ما يلاقيه المسلمون وحتى المسيحيين من اضطهاد وعسف تحت حكم الصهيونية البغيضة فى القدس وغيرها.

هذا ما حدا بنا لوضع هذا الكتاب صغير المادة كثير الفائدة لنضع النقط فوق الحروف ليعرف الناس الحقيقة ولا شىء غيرها فى هذا الموضوع الذى حاز اهتمام الجميع واختلفت وجهات النظر فيه

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل،،

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المؤلفـان

أسماء بيت المقدس

بيت المقدس أو القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام. هذا هو الاسم الذى يعرف به تاريخيا والذى ترد به فى كتب التراث.

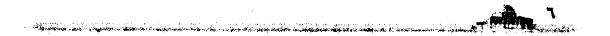
وبيت المقدس مدينة قديمة أسسها اليبوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام حتى يومنا هذا ، وسموها (يرو _ شألم) أو(يرو- شلم) ، وشلم اسم إله كنعانى معناه : السلام. وسميت فى التوراة بأورشليم ، وساليم ، وشاليم،ومدينة الله، ومدينة داود ، ومدينة الملك العظيم ، ومدينة يهوذا ، وإريئيل ، والقدس.

كما سماها الكنعانيون يبوس نسبة إلى اليبوسيين، وسماها الفراعنة فى كتاباتهم الهيروغليفية : يابينى ويابانى. ولما دمرها الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م كان قد سماها : إيليا كبيتولينا ، ثم أعاد لها قسطنطين اسمها القديم (أورشليم).

وكلمة أورشليم ليست من الأسماء العبرية، وإنما هى كنعانية الأصل، وقد وردت بهذا الاسم فى النصوص الكنعانية التى وجدت بمصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون، وقبل أن تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية بنحو ثمانمائة عام. وتعترف التوراة اعترافا صريحًا بأن ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم، لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية، فلما خاطب حزقيال أورشليم قال: (أبوك أمورى وأمك حيثية).

موقع أورشليم الجغرافى

تبعد القدس ٣٢ ميلا عن البحر المتوسط غربًا ، وحوالى ١٨ ميلا عن البحر الميت شرقا، وحوالى ١٩ميلا عن الخليل (حبرون) جنوبا، و ٣٠ ميلا عن السامرة (سبطية) شمالا، وترتفع المدينة ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر المتوسط، و٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الميت.



بيت المقدس فى التاريخ الإسلامى

فتح بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صلحا من غير قتال سنة ١٥هـ - ٦٣٦م، واحتل الصليبيون بيت المقدس فى شعبان عام ٤٩٣هـ - ١٠٩٨م.

- حرر صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس من الصليبيين فى ١٧رجب عام ٥٨٣هـ - ١١٨٧م.
- تسلم الصليبيون القدس مرة ثانية من الملك الكامل عام ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨م.
- استعاد الملك الناصر الأيوبى القدس سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩م.
- سلمت القدس مرة أخرى إلى الصليبيين عام ٦٤١ هـ - ١٢٤٣م.
- استعاد الملك الصالح أيوب بيت المقدس عام ٦٤٢ هـ -١٢٤٤م.
- احتلها الصهيونيون بعد عدوان يونيو عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

المسجد الأقصى

فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا....)

الآية (١) من سورة الإسراء

وجاء ذكر المسجد الأقصى فى أكثر من حديث نبوى شريف وذلك لفضله وشرفه ومكانته عند الله ، وعند المسلمين.

عن أبى هريرة ﷺ : أن النبى ﷺ قال: " تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا"(أحمد)

وفى رواية أبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهم) عن رسول الله ﷺ أنه قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى،

ومسجدى هذا، ولا تسافر امرأة مسيرة يومين إلا مع زوجها أو ذى محرم من أهلها" (مسلم).

✪ عن أبى ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أولا؟ قال: " المسجد الحرام". قلت: ثم أى؟ قال: "المسجد الأقصى" ، قال: قلت: كم بينهما؟ قال: "أربعون سنة" قال: " فأيهما أدركت فصل فهو مسجد"(البخارى)

✪ عن البراء بن عازب أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى

قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك - وذكر البراء ... أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم؛ فأنزل الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة: ١٤٣)(البخارى)

عن عوف بن مالك قال: أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال: " اعدد ستًّا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانية غايات تحت كل غاية اثنا عشر ألفا". (البخارى)

✿ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه". (البخارى)

✿ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى". (أحمد)

✿ عن مجاهد قال: كنا ست سنين علينا جنادة بن أبى أمية فقام فخطبنا فقال: أتينا رجلا من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ فدخلنا عليه فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا ما سمعت من الناس فشددنا عليه فقال: قام رسول الله ﷺ فينا فقال: " أنذرتكم المسيح وهو ممسوح العين. قال أحسبه قال اليسرى- يسير معه جبال الخبز وأنهار الماء علامته يمكث فى الأرض أربعين صباحًا يبلغ سلطانه كل منهل لا يأتى أربعة مساجد

الكعبة ومسجد الرسول والمسجد الأقصى والطور ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور- وقال ابن عوف وأحسبه قد قال: يسلط على رجل فيقتله ثم يحييه (أحمد)

سبب الاهتمام ببيت المقدس

تفردت لمدينة بيت المقدس بعناية لا نظير لها، فقد أرخ لها ولرجالها، ووصف آثارها، وأشاد بمحاسنها عدد كبير من العلماء، ومن أبنائها ومن زوارها ومحبيها.

ومرد هذه العناية إلى سببين:

◆ الأول: مكانة بيت المقدس في الإسلام، فقد اتخذها الرسول ﷺ قبلة للمسلمين قبل مكة، وأسرى إلى مسجدها الذى بارك الله حوله، وفك الخليفة عمر بن الخطاب إسارها، وحررها من الرومان، وردها إلى أهلها الذين أنشأوها قبل الإسلام بستة وعشرين قرنًا.



ثم توالى الخلفاء والأمراء والمصلحون فى جميع العصور الإسلامية، من أمويين وعباسيين وفاطميين، وأيوبيين، ومماليك، وعثمانيين، فأنشأوا المساجد والمدارس والزوايا والأربطة. والبيمارستانات، حتى أصبحت المدينة المقدسة متحفا يضم من الآثار الإسلامية ما لم يجتمع فى مدينة واحدة، وعلى رأسها جميعا درة الفن الإسلامى القيمة، وآيته العظيمة، قبة الصخرة، التى فتنت علماء الآثار، حتى أجمعوا على أنها من أعظم الآثار الفنية التى عرفها التاريخ .

◆ والسبب الثانى لعناية المسلمين بها : أنها وقعت بأيدى الصليبيين سنة٤٩٢ هـ، وظلت تحت وطأتهم زهاء قرن من الزمن، فذبحوا من أهلها خلقا كثيرا،وانتهكوا محارمها، وكانوا لا يطلقون أسيرًا إلا بفدية، ولم يحفظوا جميل المسلمين الذين صانوا آثار أهل الكتاب صيانتهم لآثارهم

المسجد الأقصى نهاية الإسراء

وبداية المعراج

الإسراء والمعراج

قال تعالى: « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ». (الإسراء : ١)

المسجد الأقصى الذى هو مهبط الأنبياء وأولى القبلتين وهو المسجد الثانى الذى وضع فى الأرض بعد المسجد الحرام. وقد ربط الله تعالى بينه وبين المسجد الحرام فى تلك المعجزة والتى هى إحدى معجزات رسول الله ﷺ، (الإسراء والمعراج) . حيث كان المسجد الأقصى نهاية الإسراء برسول الله ﷺ ، وبداية المعراج به ﷺ إلى السموات السبع وقد حدثت هذه الرحلة قبل الهجرة بعام. الموافق سنة (٦٣١م) حيث أسرى به ﷺ إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماوات ورجع إلى فراشه قبل أن يبرد مكانه.

وقد صحب الله تعالى بعظمتـه رسـوله ﷺ ، وصـلى هنـاك بمن صلى من الأنبياء عليهم السلام فأراه من آياته الكبرى.

ولما عرج بالرسول ﷺ مر بالسموات السبع وفى كل سمـاء مر فيها بنبى من أنبياء الله تعالى، ويخبرهم جبريـل عليـه السـلام أنه رسول الله ﷺ ، فيسلمون عليه حتـى وصـل إلى سـدرة المنتهـى عندها جنة المأوى ، ثم فرض الله عليـه وعلـى أمتـه الصـلاة وكانـت أفضل نعمة من الله تعالى فـى هـذه الرحلـة. والمعـارج ليلـة الإسـراء عشرة، سبع إلى السموات، والثامنة إلى سدرة المنتهى، والتاسعة إلى المستوى الـذى سمـع فيـه صـريف الأقـلام فـى تصـاريف الأقـدار ، والعاشرة إلى العرش ، والرفرف والرؤية وسماع الخطاب جل جلال القدير العظيم ، وصلى الله على حبيبه ونبيه الرءوف الرحيم.

روى البخارى ، عن قتادة عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة أن نبى الله حدثهم عن ليلة أسرى به قال: «بينما أنا نـائم

فى الحطيم – وربما قال فى الحِجْر – مضطجعًا إذ أتانى آت – قال: سمعته يقول : فشق – ما بين هذه إلى هذه. قال: فقلت للجارود وهو إلى جنبى: ما يعنى به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته. فاستخرج قلبى، ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل قلبى، ثم حشى ثم أعيد.

ثم أتيت بدابة ، دون البغل وفوق الحمار أبيض – فقال له الجارود : هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم – يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا ، فاستفتح ، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به نعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح لنا فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به، نعم المجيء جاء ففتح، لما خلصت إذا يوسف، قال هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد

أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم، قيل مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا موسى، قال : هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى،

قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى.

ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ، قيل مرحبًا به، فنعم المجئ جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح.

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى،فإذا نبقها مثل قِلاَل (1)هجر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات ثم رفع إلىَّ البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف

---

(1) نوع من الآنية الفخار الكبيرة

ملك، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من عسل، فاخترت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها ثم فرضت عليَّ الصلاة، خمسين صلاة كل يوم، فرجعت على موسى فقال: بم أمرت ؟ قال: فقلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت

ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى».

فضائل بيت المقدس

وفضائل بيت المقدس كثيرة، ولابد من ذكر شىء منها، قال مقاتل بن سليمان- من أعلام المفسرين (توفى فى البصرة عام ١٥٠هـ):

قوله تعالى: « وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ». (الأنبياء : ٧١) قال: هى بيتُ المقدس.

وقوله تعالى: « وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ » (المؤمنون : ٥٠) قال : البيت المقدس.

وقال تعالى: « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى » (الإسراء : ١) هو بيت القدس.

وقوله تعالى: « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّـهُ أن تُرْفَـعَ وَيُـذْكَرَ فِيهَـا اسْمُهُ» (النـــــــور : ٣٦)

البيت المقدس وفـى الخـبر: «مـن صـلى فـى بيـت المقـدس فكأنما صلى فى السماء» ورفع الله عيسـى ابـن مـريم إلى السـماء مـن بيت المقدس وفيه مهبطه إذا هبط، وتُزف الكعبة بجميع حجاجهـا إلى البيت المقدس يقال لها : مرحباً بالزائر والمزور، وتُـزف جميـع مساجد الأرض إلى البيت المقدس، أول شيء حسر عنه بعد الطوفـان صخرة بيت المقدس، وفيـه يـنفخ فـى الصـور يـوم القيامـة، وعلـى صخرته ينادى المنادى يوم القيامة وعن النبى ﷺ أنه قـال: لا تُشـد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام ومسجد البيت المقدس، وأنَّ الصلاة فى بيت المقدس خيرٌ من ألف صـلاة فـى غيره، وأقرب بقعة فـى الأرض مـن السـماء البيـتُ المقـدس ويُمنـع الدجال من دخولها، ويهلك يأجوج و مأجوج دونهـا، وأوصـى آدمُ، عليه السلام، أن يُدفن بهـا، وهاجر إبراهيم من كُوثى إليها، وإليها

المحشر ومنها المنشر، وصدّق إبراهيم الرؤيا بها، وكلّم عيسى الناس في المهد بها، وتُقادُ الجنة يوم القيامة إليها، ومنها يتفرق الناس إلى الجنة أو إلى النار، وروى عن كعب أنَّ جميع الأنبياء، عليهم السلام، زاروا بيت المقدس تعظيمًا له، ورُوى عن كعب أنه قال: لاتسموا بيت المقدس إيلياء ولكن سموه باسمه فإن إيلياء امرأة بَنَتْ المدينة، وعن ابن عباس قال: البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلّى فيه نبى أو أقام فيه ملك. وعن أبى ذر قال: قلتُ لرسول الله ﷺ: أى مسجد وضع على وجه الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، قلتُ: ثم أىّ؟ قال: بيت المقدس وبينهما أربعون سنة.

وقال كعب: من زار البيت المقدس شوقًا إليه دخل الجنة، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذُنوبه كيوم ولدته أُمه وأعطى قلبًا

شاكرًا ولسانًا ذاكرًا. ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار، ومن صام فيه يومًا واحدًا كُتبتُ له براءتُه من النار.

وصف بيت المقدس قديما

يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان: ويشرب أهل المدينة من ماء المطر، ليس فيها دار إلا وفيها صهريج لكنها مياه ردية أكثرها يجتمع من الدروب وإن كانت دروبهم حجارة ليس فيها من ذلك الدنس الكثير، وبها ثلاثُ برَكٍ عظام: بركة بنى إسرائيل. وبركة سليمان عليه السلام، وبركة عياض عليها حماماتهم، وكان بنو أيوب قد أحكموا سورها ثم خربوه وفى المثل: قتل أرضًا عالمها وقتلت أرض جاهلها (ويقول أبو عبدالله محمد بن أحمد بن البناء البشارى المقدسى له فى كتابه أخبار بلدان الإسلام وقد وصف بيت المقدس فأحسن: وإن كان قد تغير بعده بعض معالمها، قال: هى متوسطة الحر والبرد قَلّ ما يقعُ فيها ثلجٌ،

قال: وسألنى القاضى أبو القاسم عن الهـواء بهـا فقلـت: سجسج لا حر ولا برد، فقال: هذه صفة الجنة، قلت: بنيانُهم حجر لا تـرى أحسن منه ولا أنفس منه، ولا أعفَّ من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف مـن أسـواقها ولا أكـبر مـن مسـجدها ولا أكثـر مـن مشاهدها، وكنتُ يومًا فى مجلس القاضى المختار أبى يحيى بهـرام بالبصرة فجرى ذكر مصر إلى أن سئلت: أى بلد أجلُّ؟ قلت: بلدُنا، قيل: فأيهما أطيب؟ قلت: بلدُنا، قيل: فأيُّهما أفضل؟ قلت: بلدنا، قيل: فأيهما أحسن؟ قلت: بلـدنا، قيـل: فأيهمـا أكثـر خـيرات؟ قلت: بلدنا. قيل: فأيهما أكبرُ؟ قلت بلدنا. فتعجب أهـل المجلـس من ذلك وقيل: أنت رجل مُحصِّل وقد ادعيت مـا لا يُقبـل منـك ومـا مثلك إلا كصاحب الناقة مع الحجاج، قلت: أما قـولى أجـل فلأنـهـا بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من أبنـاء الـدنيا وأراد الآخـرة وجد سوقها، ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها، وأما طيب هوائها فإنه لا سُمَّ لبردها ولا أذى لحرها، وأما

الحُسن فلا يرى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها، وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبل والأشياء المتضادة كالأترجّ واللوز والرطب والجوز والتين والموز، وأما الفضل فهى عَرصَةُ القيامة ومنها النشر وإليها الحشر وإنما فضلت مكة بالكعبة والمدينة بالنبى ﷺ ويوم القيامة تزفّان إليها فتحوى الفضل كله، وأما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون إليها، فأى أرض أوسع منها؟ فاستحسنوا ذلك وأقروا به، قال: إلا أن لها عيوبًا.

والماء بها واسع، وقيل: ليس ببيت المقدس أكثرُ من الماء، قل أن يكون بها دار ليس بها صهريج أو صهريجان أو ثلاثة على قدر كبرها وصغرها، وبها ثلاث برك عظام: بركة بنى إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض عليها حماماتهم لها دواع من الأزقة، وفى المسجد عشرون جُبًّا مشجرة قل أن تكون حارة ليس بها جُبّ

مسيل غير أنَّ مياهها من الأرقة وقد عمد إلى وادٍ فجعل بركتين تجتمع إليهما السيول فى الشتاء وقد شق منهما قناة إلى البلد تدخل وقت الربيع فتدخل صهاريج الجامع وغيرها.

وقال المنجمون: القدس طوله ست وخمسون درجة، وعرضه ثلاث وثلاثون درجة، فى الإقليم الثالث.

أما الرحالة الفارسى " ناصر خسرو" فيقول عن بيت المقدس، وكان قد وصل إليها فى الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ.

وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس "القدس" ويذهب إلى القدس فى موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات، فيتوجه إلى الموقف ويضحى ضحية العيد كما هى العادة. ويحضر هناك لتأدية السنة، دخل إليها فى بعض السنين، أكثر من عشرين ألف شخص، فى أوائل ذى الحجة، ومعهم أبناؤهم.

وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها، والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرهما تنبت كلها بغير ماء، والخيرات بها كثيرة ورخيصة وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف مَنٍّ من زيت الزيتون يحفظونها فى الآبار والأحواض، ويصدرونها إلى أطراف العالم، ويقال إنه لا يَحدث قحط فى بلاد الشام.

وسمعت من ثقات أن وليا رأى النبى ﷺ فى المنَام فقال له "ساعدنا فى معاشنا يا رسول الله" فأجابه النبى ﷺ : "على خبز الشام وزيته".

فتح المسلمين لبيت المقدس

يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان: وأما فتحها فى أول الإسلام إلى يومنا هذا، فإن عمر بن الخطاب ﷺ أنفذ عمرو بن العاص إلى فلسطين ثم نزل البيت المقدس فامتنع عليه، فقدم أبو

عبيدة بن الجراح بعد أن افتتح قنسرين، وذلك في سنة ١٦ للهجرة، فطلب أهل بيت المقدس من أبى عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج ، والدخول فيما فيه نظراؤهم، على أن يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر، فقدم عمر ونزل الجابية من دمشق، ثم صار إلى بيت المقدس فأنفذ صلحهم وكتب لهم به كتابا ، وكان ذلك فى سنة ١٧هـ ولم تزل على ذلك بيد المسلمين. والنصارى من الروم والإفرنج والأرمن وغيرهم من سائر أصنافهم يقصدونها للزيارة إلى بيعتهم المعروفة بالقُمامة وليس لهم فى الأرض أجل منها. والخطبة تقام فيها لبنى العباس، فاستضعفهم المصريون وأرسلوا إليهم جيشًا لا طاقة لهم به. وبلغ سكمان وأخاه خبر ذلك فتركوها من غير قتال وانصرفوا نحو العراق. وقيل : بل حاصروها ونصبوا عليها المجانيق، ثم سلموها بالأمان، ورجع هؤلاء إلى نحو المشرق وذلك فى سنة ٤٩١هـ واتفق

أن الإفرنج فى هذه الأيام خرجوا من وراء البحر إلى الساحل فملكوا جميع الساحل، أو أكثره وامتدوا حتى نزلوا على البيت المقدس، فأقاموا عليها نيفا وأربعين يوما ثم ملكوها من شمالها من ناحية باب الأسباط عنوة في اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ ووضعوا السيف فى المسلمين أسبوعا ، والتجأ الناس إلى الجامع الأقصى، فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين ألفا من المسلمين ، واخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا فضة ، كل واحد وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم فضة، وتنور فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى (أى حوالى ٢٥٦٥ جراما) ، وأموالا لا تحصى ، وجعلوا الصخرة والمسجد الأقصى مأوى لخنازيرهم.

وهكذا احتل الصليبيون بيت المقدس ، مسرى النبى ﷺ وأولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين وعندما دخلوا المدينة

المقدسة انطلقوا فى شوارع المدينة إلى الدور والمساجد ، يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز.

وذكر ابن الأثير فى تاريخه : أن عدد قتلى المسلمين زاد على سبعين ألف قتيل ، منهم عدد كبير من أئمة المسلمين وعلمائهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور فى بيت المقدس.

وقد روى شاهد عيان ما فعله الصليبيون عندما دخلوا القدس فقال: (إن النساء كن يقتلن طعنا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم، ويقذف بهم من فوق الأسوار، وتهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفا من المسلمين الذين بقوا فى المدينة).

ولم يزل بيت المقدس فى أيديهم حتى استنقذه منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣هـ بعد إحدى وتسعين سنة أقامها فى يد الإفرنج،ثم آلت إلى بنى أيوب بقيادة

الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب,وكان الفرنج قد أحكموا سور بيت المقدس وعمروه وجودوه ، فلما خرج الإفرنج فى سنة ٦١٦هـ وتملكوا دمياط، استظهر الملك المعظم بخراب السور، وقال: نحن لا نمنع البلدان بالأسوار إنما نمنعها بالسيوف والأساورة.

ويقول ابن الجوزى: وما زالت بيت المقدس مع الكفار إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فقصده صلاح الدين النائب هناك عن أمير المؤمنين الناصر لدين الله بعد أن ملك ما حوله، فوصل الخبر فى سابع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أن يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين فتح بيت المقدس وخطب فيه بنفسه وصلى فيه.

وقد استولى البريطانيون على بيت المقدس سنة ١٩١٧م فى الحرب العالمية الأولى ثم اتخذوها عاصمة أثناء الانتداب البريطانى

على فلسطين، وحينما انتهى الانتداب حارب اليهود العرب لانتزاعها، ونتيجة لحرب فلسطين سنة ١٩٤٨م قسمت المدينة ، فكان للعرب القدس القديمة، ولليهود القدس الجديدة ، ثم احتلت إسرائيل المدينة كلها فى حرب ١٩٦٧م.

ولا يزال الاحتلال اليهودى لبيت المقدس (القدس الشريف) قائما حتى يومنا هذا سنة ٢٠٠٢ هـ .

فتح القدس الشريف على يد صلاح الدين

فى شهر رجب سنة ٥٨٣هـ أخذت جيوش المسلمين بقيادة صلاح الدين تقترب من بيت المقدس، وكانت قادمة من الخليل، وعسكر الجيش الإسلامى بالجانب الغربى، ثم رأى السلطان صلاح الدين وقادته أن المكان غير مناسب عسكريًّا، فأمر بالانتقال من الجانب الغربى إلى الجانب الشمالى، ويذكر أن الجيش كان قد نزل

بالجانب الغربى يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب، وانتقل إلى الجانب الشمالى فى يوم الجمعة العشرين منه. يذكر ابن شداد: أن صلاح الدين سار معتمدا على الله ومفوضًا أمره إليه، منتهزا فرصة فتح باب الخير الذى حث على انتهازه إذا فتح، بقوله ﷺ: «إذا فتح له باب خير فلينتهزه، فإنه لا يعلم متى يغلق دونه».

ونصب الجيش الإسلامى المنجنيقات ، وضايق بيت المقدس بالزحف والقتال ، وكثرة الرماة حتى أحدث النقب فى السور مما يلى وادى جهنم فى قرنة شمالية. فلما رأى العدو المحتل ما نزل به، وظهرت لهم إمارات نصرة الحق على الباطل، وعلموا أن مصيرهم سيكون كمصير بنى جلدتهم فى البلدان الإسلامية الأخرى، عمدوا إلى طلب الأمان، فأبى صلاح الدين أولا، ثم هدد العدو بهدم قبة الصخرة المشرفة، وقتل أسرى المسلمين وكانوا قرابة خمسة آلاف، فعقد صلاح الدين مجلسا للشورى ، ووافق المسلمون

على إعطاء الأمان للفرنج، ثم تسلموا بيت المقدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب.

وقد تحدث كثير من الأدباء المسلمين عن فتح القدس وخصوه بعناياتهم ، وعبروا إزاءه عن أحاسيسهم ومشاعرهم ، وأحاسيس المسلمين ومشاعرهم. ويصور العماد الأصفهانى فى كتابه (الفيح القسى فى الفتح القدسى) السنة التى فتح فيها بيت المقدس بأنها الزمان الذى تقضت على انتظار إحسانه الأزمنة ، وظهر فيه المكان المقدس، بعد أن كان ممتهنًا فى ظل الاحتلال الصليبى.

ويصور القاضى الخطيب محيى الدين بن زكى الدين الفتح فتحًا عظيمًا ، فهو الفتح الأسنى والنصر الأهنى، والنعمة العظيمة، والمفخرة العظمى. وهو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء، وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء. وابتهج به الملائكة والأنبياء، وتبادل التهانى به أهل الخضراء أكثر مما تبادلها أهل الغبراء ،

ويعده الفضيلة الكبرى التى شرف الله بها الأمة الإسلامية ، فكأن الله شرف هذه الأمة وقال لهم : اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التى بها فضلكم، ويعده أيضا فتحًا عظيم القدر، جسيم الفخر، فاضل العصر، كامل النصر ولن ينسى ذكره إلى يوم الحشر.

ويربط ابن الزكى بين هذا الفتح العظيم، والفتوح العظيمة التى حدثت فى عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين، مثل معارك بدر، والقادسية، واليرموك وغيرها :

يقول مخاطبا الجيش الإسلامى المنتصر: فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية، جددتم بها للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية.

ويصور استرداد بيت المقدس بأنه استرداد للضالة المنشودة التى طالما سعد المسلمون للفوز بها بعد تخليصها من الأمة الضالة ، وردها إلى الإسلام بعد أن بقيت محتلة نحو مائة عام.

ويعد ابن شداد هذا الفتح فتحًا عظيمًا ، وقد شهده خلق عظيم من أهل العلم وأرباب الخرق والطرق ، ويذكر أنه لما شاع قصده – صلاح الدين – القدس، قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف شخص معروف من الحضور.

لقد كان هذا الفتح أهم فتح ينظر صلاح الدين إلى تحقيقه، يذكر أنه لما أراد تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فتح المغرب، قال له صلاح الدين: (لكن فتح بيت المقدس أهم ، والفائدة به أتم، والمصلحة منه أخص وأعم، وإذا توجه تقى الدين واستصحب معه رجالنا المعروفة ذهب العمر فى اقتناء الرجال، وإذا فتحنا القدس

والساحل طوينا إلى تلك الممالك المراحل) وأبطل تقى الدين العزم على فتح المغرب.

ولما انتصر المسلمون فى طبرية وحطين ، وفتحوا الفتوح الكثيرة فى عكا والناصرة وصفورية وقيسارية، ونابلس وحيفا وغيرها بقيادة صلاح الدين. قال العماد الأصفهانى : (وبعد هذا ما يتأخر النهوض إلى القدس، فهذا أوان فتحه، ولقد دام عليه الضلال، وقد آن أن يسفر فيه الهدى عن صبحه).

كان فتح بيت المقدس غاية الغايات التى كان المسلمون يرنون إلى تحقيقها، وكانوا مستعدين للتضحية بالنفوس فى سبيلها. ومما يذكر فى هذا المجال أن المنجمين قالوا لصلاح الدين : (على نجمك أن تدخل بيت المقدس، وتذهب عين واحدة منك، فقال : رضيت بأن أعمى، وآخذ البلد). وكذب المنجمون.

ويذكر أنه كانت كل أفكار صلاح الدين منصبة على بيت المقدس، حيث يقع المسجد الأقصى، ثالث مكان مقدس فى الإسلام والصخرة المشرفة التى عرج منها محمد ﷺ ولتكن القدس الثمرة الطيبة لانتصاراته الفذة. وكان فتح القدس شاغله الأكبر، وقد بلغ منيته بتحرير المسجد الأقصى.

لقد كان هذا الفتح الآية العظمى، وهو الفتح العظيم الحاسم الذى كان المسلمون بانتظاره، وهو فتح ما كان يخطر ببال فى ظل أوضاع المسلمين من قبل، ولكنه تحقق بعد توحيد بلاد المسلمين، ووقوفهم صفا واحدا، وبهذا الفتح الذى تمناه الملوك ولم يستطيعوا تحقيقه قبل صلاح الدين، زال الاحتلال الصليبى، وزال الداء المعضل الذى لم يشف المسلمون منه إلا فى سنة الفتح.

لقد حار المسلمون فى هذا الفتح لعظمته، وتساءلوا عن سر هذه العظمة، وهل أصبح واقعا بعد أن كان حلما؟ إن هذا التساؤل

يعبر عما كانوا فيه من يـأس يحـيط بهـم ، فـيرون أن قمـة أحلامهـم المتمثلة فى تحرير بيت المقدس قد لا تتحقق ، ولكن ذلك أصبح واقعا ، بعـد أن كـان حلمـا فـى ظـل تفـرق المسـلمين ، وتنـازعهم وتخـاذلهم ومحاربة بعضهم بعضا. ولكن تحققت الآمال التى كانت تراود نفوس المسلمين وعادت إلى بيت المقدس قدسيته ، وعزته ، ومكانته السامية ، وطهر من الرجس والآثام ، وبفتحه حقق ما كـان فـى الـنفس ، وبـدل وحشة الكفر فيه من الإسـلام بـالأنس ، وجعـل عـز يومـه ماحيـا ذل أمس. وفتح الله بيت المقدس الذى عجز الملـوك الآخـرون عـن تمنيـه ، وهو الفتح الذى لم يخطر تمنيه بخاطر الملوك وتـوعر علـى عـزائمهم نهج طريقه المسلوك ، وكان فتحه نصرا من الله.

يقول العماد الأصفهانى : دعانا الله لفتحه فأحببناه ، ووعدنا بالفوز فأجبناه ، وأوردنا مشـرع صـفائه فاسـتعذبناه ، وعرفنـا طيـب عرفه فاستبطناه ، وذخرنا لعصرانا هذا الفخر فاستقبلناه.



ويصور القاضى الفاضل اليأس الذى كان قد حـل بالمسـلمين، مما جعلهم ينظرون إلى أن الفتح القدسى حلم قد لا يتحقق، ولما تحقق كاد المسلمون لا يصدقون ما حدث، يقول: واسترد المسلمون تراثا كـان عنهم آبقا، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون بـه علـى النـأى طارقا.

والخلاص من العدو الصليبى المحتل، وهو عدو اسـتعمارى استيطانى كان يحتل بـلاد الإسـلام والمسـلمين ، وكـان يريـد القضـاء عليها، واحتلال أرض الإسلام ، وعلى رأسـها بيـت المقـدس، وعلـى ذلك فهمـا معركتـان انتهتـا بانتصـار الإسـلام والمسـلمين ، وهزيمـة أعدائهما، وهما معركتـان حاسمتـان فـى التـاريخ الإسـلامى يفتخـر المسلمون بهما فى كافة أنحاء العالم الإسلامى، ولذا جاء الربط بينهما أمرا طبيعيا.

وهناك ارتباط بين شخصية الخليفة عمر بن الخطاب الذى أحرز المسلمون الانتصار فى القادسية فى عهده، وشخصية السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى قاد المسلمين إلى النصر فى معركة بيت المقدس ، وهو ربط طبيعى بين الشخصيتين اللتين فتحتا بيت المقدس، ففى عهد الخليفة عمر كان الفتح القدسى العمرى ، وفى عهد السلطان صلاح الدين كان الفتح القدسى الصلاحى ، وكلاهما فتح عظيم حقا.

ونحن إذ نذكر أعداءنا المحتلين فى العصر الحديث بالقادة المسلمين السابقين، ومعاركهم الحاسمة، وأن مصيرهم سيكون مصير أعداء المسلمين فى العصور السابقة فى معارك الإسلام الحاسمة السابقة.

لقد كان هذا الفتح ذا أثر كبير فى الإسلام والمسلمين ، فبه صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصائرها ، واستتبت عقائد أهله على

أبين بصائرها ، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط. وصدق الله أهل دينه. وقد أصبحت الأرض المقدسة طاهرة ، وكانت طامثا فى ظل الاحتلال الصليبى.

وتتردد تلك البشائر بالفتح فى أدب من أدباء المسلمين، فقد تحدثوا عن الآثار التى نجمت عنه دينيا وسياسيا ونفسيا ، وفكريا واجتماعيا ، واقتصاديا وعمرانيا ، ويصور العماد الأصفهانى تلك الآثار فى قول مجمل يشير فيه إلى آثار الفتح فى مجالاتها المختلفة ، يقول : (..... وتلى التنزيل ، وحق الحق ، وبطلت الأباطيل ، وتولى الفرقان ، وصفت السجادات ، وصفت العبادات ، وأقيمت الصلوات ، وأعليت الرايات ، ونطق الآذان ، وخرس الناقوس ، وعاد الإيمان الغريب إلى وطنه ، وورد القراء ، وقرءوا الأوراد ، واجتمع الزهاد والعباد والأبدال والأوتاد ، وأملى الحفاظ ، وأبكى الوعاظ ، وتذاكر العلماء ، وتناظر الفقهاء ، وتحدثت الرواة ، وروى المحدثون ولخص

المفسرون، وانتدى الفضلاء، وانتدب الخطباء، وكثر المترشحون للخطابة، والمتوحشون بالإصابة، المعروفون بالفصاحة.

ويصور الأدباء فى تلك الفترة الرباط المقدس بين الأماكن المقدسة فى فلسطين والحجاز والأقصى المبارك والصخرة المشرفة، والمسجد الحرام، والمسجد النبوى، فالمسجد الحرام والمسجد النبوى يتلقيان البشرى بخلاص المسجد الأقصى وتحريره، وإعادة إقامة الشعائر الإسلامية فيه، وعودة علم الإيمان يرفرف فوق أعاليه، والحجر الأسود يتلقى التهانى بخلاص الصخرة المشرفة وتحريرها.

وقد صور العماد الأصفهانى المسجد الأقصى أخا للمسجد الحرام فيقول: فما أسر البيت الحرام بفكاك أخيه من الأسر، وإجراء الإسلام فيه لغسل أوضار الكفر، وقد عاد المسجد الأقصى إلى مداناة المسجد الحرام.

وبعد الفتح القدسى أحرم المسلمون من البيت المقدس إلى البيت العتيق، كما كانوا يحرمون منه قبل الاحتلال الصليبى.

إن الرباط السماوى والرباط الأرضى بين الأماكن المقدسة فى بيت المقدس، والأماكن المقدسة فى بلاد الإسلام، يتمثل فى تصوير بيت المقدس بأنه: المسجد الأقصى المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومزار الأبدال وملائكة السماء، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر، وفيه الصخرة المشرفة والأقصى المبارك، وهو أولى القبلتين وثانى البيتين، وثالث الحرمين، وإليه تشد الرحال، وهو منزل الوحى بمحل الإسراء، ومقر سيد المرسلين، وخاتم النبيين بمقام الرسل والأنبياء.

ويصور الأدب الاستجابة لنداءات الصخرة المشرفة التى طالما استصرخت بالمسلمين، فلبى صلاح الدين نداءاتها واستصراخها.

يقول العماد الأصفهاني: وقد كانت الصخرة مستصرخة، ومطايا الكفر بكلالها عليها منوخة، فأجيبت دعوتها وأصيبت حظوتها، ودنا المسجد الأقصى للقاصى والدانى، ويصور أثر تخليصها مما كان يلحق بها فى ظل الاحتلال، وتعلق نفوس المسلمين بها فيقول: ولقد غسلت أدران الكفر وأدناسه، وطهرت من أرجاس أنجاسه، بمياه العيون التى قذيت، وصقلت بشفاه المؤمنين ، وطالما بأيدى الشرك صديت، وأعيد إليه ذكر الله بعد طول الغربة، وتذكرت بصحبة الأولياء ما سلف لها فى عهد الصحابة - رضى الله عنهم - من حسن الصحبة.

وما أجمل الصورة التى يصور بها العماد الصخرة المشرفة وحنينها، كما يبدو فى قوله: وحنت الصخرة حنين جذع المعجزة الأولى فى ظلمة ليلها إلى ذلك السراج الوهاج، والحمد لله على سلوك ما وضح المنهاج، ونضوب ما كان نبع من الأجاج، وخلا بيت الله

لقصد الحاج، وصدق الحاج مبشرة بما فضل الله به عصرنا وعجل بـه نصرنا.

احتلال الصليبيين للقدس مرة أخرى

احتل الصليبيون القدس مرة ثانية ، وذلك عندما سلمها لهم الملك الكامل فى أول ربيع الآخر من سنة ٦٢٦هـ.

وكان ذلك بحجة انه لو لم يف للإمبراطور فردريك بما وعد لفتح باب محاربة مع الفرنج ، واتسع الخرق، ولكن متى كان فتح باب الجهاد وضد الغزاة المعتدين مبررا للتنازل عن حقوق الإسلام والمسلمين ؟ أليس الجهاد بواجب على المسلمين عندما يغزون فى عقر دارهم؟ وإذا كان المسلمون فى حالة ضعف ، فإنه لا يحق لهم التنازل عن حقوقهم فى بلادهم وأرضهم.

لقد كانت هذه النقلة الشنيعة من الوصمات التى دخلت على المسلمين ، ويذكر أن الأئمة والمؤذنين الذين حضروا من القدس،

ذهبوا إلى مخيم الكامل وأذنوا على بابه فى غير وقت الأذان فعز ذلك عليه، وأمر بأخذ ما كان معهم وزجرهم. وقيل لهم: أموا إلى حيث شئتم، فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء ، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشناعات عليه فى سائر الأقطار ، وعد فعل الكامل هذا خروجا عن الدين ، ويذكر سبط ابن الجوزى انه أقيمت القيامة فى جميع بلاد الإسلام ، وأقيمت المياتم . وشق هذا على المسلمين، فقد كان من أعظم المصيبات فى الإسلام ، وكان طامة كبرى حصل بسببها وهن عظيم وإرجاف شديد. وأعلن الملك الناصر داود الحداد العام لما تعرض له الإسلام من فعل شنيع أساء إلى الإسلام والمسلمين. وفرط فى حقوقهم وحقوق دينهم، وحقوق بلادهم، وطلب الملك الناصر داود من سبط ابن الجوزى أن يعقد مجلسا فى الجامع الأموى فى دمشق، فاستجاب وعقد مجلسا تحدث فيه عن فضائل بيت المقدس وما ورد فيه من الأخبار والآثار، ويصور العار والذل الذى لحق بالمسلمين من جراء تسليم بيت المقدس إلى العدو

الصليبى، وحضر الناس ذلك المجلس، وحضره السلطان الناصر داود نفسه، ولم يتخلف أحد فى دمشق عن الحضور.

لقد كان صدى التنازل عن بيت المقدس كبيرا، وبدا ذلك الصدى جليا فى حديث سبط ابن الجوزى. فى مجلسه هذا، وفيه يصور انقطاع الزائرين لبيت المقدس والمجاورين هناك، ويصور إحساسات المسلمين إزاء المصيبة العظمى ويستنكر ما حدث استنكارا شديدا ويحض السلطان الكامل بالاستنكار، ولكنه يستنكر مواقف ملوك المسلمين الآخرين.

ومما قاله فى مجلسه هذا: انقطعت عن بيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشة المجاورين، كم كانت لهم فى تلك الأماكن من ركعة، كم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة، تالله لو صارت عيونهم عيوناً لما ونت، ولو تقطعت قلوبهم أسفا لما شفت، أحسن الله عزاء المؤمنين، يا خجلة ملوك المسلمين، لمثل هذه الحادثة

تسكب العبرات، لمثلها تنقطع الصدور من الزفرات، لمثلها تعظم الحسرات. ويقال إنه كان يوما مشهودا، قد علا فيه ضجيج الناس وعويلهم وبكاؤهم.

الاحتلال الصهيونى

لقد بدأ الاحتلال الصهيونى بعد عدوان يونيه عام ١٩٦٧م، ولا يزال يجثم على صدر فلسطين، ويعيث فى القدس الشريف فسادا، ويستبيح المسجد الأقصى، ويستهين بمقدسات المسلمين.

وتطالعنا الصحف كل يوم بأخبار عن مقتل العشرات والعشرات من هؤلاء العزل من السلاح ، ولا فرق بين طفل وشيخ وشاب، الكل يقتل بلا هوادة ، وهكذا يضرب الكفر بجرانه ، ويتبختر تيها بين أنصاره وأعوانه.

حقا ما أشبه الليلة بالبارحة، فالعدو واحد على مدى التاريخ، وإن اختلفت الأسماء ، والمستهدف هو القدس الشريف ،

وكل ما يمثله عند الإنسان المسلم الذى لابد أن تكون صيحته الآن (حى على الجهاد) مع إيمانه الثابت العميق بأن للقدس ربا يحميه.

وها هى الحكومات العربية تحاول بالطرق الدبلوماسية استعادت ما تبقى للعرب من أرض فلسطين المحتلة بعد قرار التقسيم المشؤوم وقد رضى الفلسطينيون بالظلم ولكن الظلم لم يرض بهم قبلوا التقسيم ولكن الصهيونية الغادرة ومن يحمونها يعارضون ويتدللون.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون؟

أشكال من الاعتداءات

على المدينة المقدسة والمسجد المبارك

أولاً: سياسة الحفريات المختلفة:

لم يمضِ أسبوع على احتلال القدس الشرقية من قبل العدو الإسرائيلي عام ١٩٦٧ حتى بدأوا بهدم بعض مباني حي المغاربة، ولم يمر عام واحد على الاحتلال إلا وقد بدأوا بالحفريات تحت أبواب أسوار المسجد الأقصى المبارك. ويمكننا أن نقسم أعمال الحفريات هذه إلى عشر مراحل هي:

- كانت البداية في سنة ١٩٦٧ واستمرت نحو سنة، بلغ طولها نحو سبعين مترا وبُدىء بها من أسفل الحائط الجنوبي للأقصى، وبمحاذاته باتجاه الغرب، حتى المئذنة الفخرية والمتحف، وعمقها أربعة عشر مترا.

- كانت بداية هذه المرحلة عند نهاية المرحلة الأولى وحتى باب المغاربة بطول بلغ نحو ثمانين مترا، انتهى العمل فيها في سنة ١٩٦٩ م. ومرّت من أسفل المباني الإسلامية، فأدت إلى تصدُّعها، وبدلا من صيانتها وتقويتها قامت جرافات الاحتلال بإزالتها في نفس السنة.
- بُدئ العمل بهذه المرحلة سنة ١٩٧٠ م. واستمرت مرحلتها الأولى أربع سنوات، ثم توقفت سنة واحدة، ثم استؤنفت العمل بها في سنة ١٩٧٥ ولم تنته بعد.

مكان هذه الحفريات من تحت المحكمة الشرعية القديمة في الغربية، وحتى باب علاء الدين البصيري، بطول ١٨٠ مترا وعمق يتراوح بين ١٠ ـ ١٤ مترا أما المكان القائم تحت المحكمة فحوَّله اليهود إلى معبد.

ويعتبر ضرر هذه الحفرية من أكبر الأضرار، إذ تصدعت العمائر من فوقها والجامع العثماني ورباط الكرد والمدرسة العمرية.

- بدء العمل فيها سنة ١٩٧٣م. واستمرت نحو سنة مبتدئة من حيث ابتدأت الأولى باتجاه الشرق، بطول قدره ثمانين مترا، وقد اخترقت الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى، ودخلت الأروقة الدونية في أربعة مواطن:

أ - من أسفل محراب الأقصى المبارك، وبعمق عشرين متراً إلى الداخل.

ب - من أسفل جامع عمر.

ج - تحت الأروقة الجنوبية للأقصى المبارك وبعمق ١٣ مترا.

د ـ تحت الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة دون الأقصى المبارك، وهي الأبواب: الثنائي، المنفرد والثلاثي.

◈ بدأت هذه المرحلة في مطلع سنة ١٩٧٥م. في نحو منتصف السور الشرقي للأقصى المبارك لبيت المقدس، وقد جرى فيها طمس لقبور إسلامية كثيرة.

٧ ـ تعميق ساحة البراق، ما يسمونه حائط المبكى، بتسعة أمتار.

٨ ـ استئناف للمرحلتين الرابعة والخامسة. وقد بدأت هذه المرحلة تحت شعار كشف مدافن ملوك بني إسرائيل.

٩ ـ اخترقت حفريات هذه المرحلة الحائط الغربي، وأعادت فتح النفق الذي اكتشفه (وارن) في سنة ١٩٨٠ م.

١٠ - بدأت هذه المرحلة بشراسة، فازداد التوغل تحت أرضية الساحة وحولها... وبينما يقوم الحراس المسلمون بحماية المسجد من الداخل ضد أي اعتداء، إذا بالحفارين اليهود يتوغلون في الحفريات من المحيط الخارج عن الأسوار، ومن الأحياء التي يسيطر عليها الاحتلال اليهودي سيطرة تامة. وتركزت هذه الحفريات على الطبقات التحتية لتفريغها من التربة.

وقد حاول اليهود في شهر آب ١٩٨٨ الشروع في الحفر وسط الطريق المنحدر إلى حي الوادي الملاصق للمسجد، ولكن حراس المسجد منعوهم، وكرر الحفارون المحاولات، وعاد الحراس إلى صدهم. وهدف الحفاربن من هذه الحفريات أن يصلوا إلى قاعدة مسجد الصخرة المشرفة، ثم الوصول إلى حفريات أخرى تحت حائط المسجد الأقصى الشرقي. وفطنت دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس للمؤامرة فسارعت إلى إقامة سياج حول الأرض المجاورة للحائط

الشرقي لمنع الحفريات فيه. وعندما علمت السلطات الإسرائيلية بأمر السياج أخذت تهدد مدير الأوقاف لإزالته بزعم أنه أقيم بدون تصريح منها، فأجاب مدير الأوقاف أن هذه الأرض هي وقف إسلامي لا يحتاج المسئولون عند تسييجها إلى تصريح من أي جهة كانت. ولما أصرَّ مدير الأوقاف على بقاء السياج عقدت له السلطات الإسرائيلية محاكمة بقيت قائمة حتى شهر ديسمبر ١٩٨٨ م.
وتعتبر هذه المرحلة العاشرة من أخطر مراحل الحفريات لأن هدفها هو تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى ومسجد الصخرَة لترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا عرضة للانهيار والسقوط بفعل أي تقلبات مناخية أو اهتزازات طبيعية، أو حتى صوت عالٍ تسببه طائرة تخترق جدار الصوت.



ثانيا: سياسة الأنفاق:

قامت إسرائيل ومنذ عام ١٩٦٧ م بحفر عدد من الأنفاق تحت المسجد الأقصى المبارك والمباني الإسلامية المجاورة. وهدف إسرائيل من ذلك هو بناء ما يسمى «هيكل سليمان» في نفس المكان الذي يُزعم أنه كان موجودا فيه. وهو أسفل المسجد الأقصى، إضافة إلى تشييد جميع الأبنية بنمط بيزنطي مع إغفال تام للمرحلة العربية الإسلامية.

ويقوم اليهود بحفر أنفاق مائية (قنوات نفقية) وهي ابتكار كنعاني في العام ٣٥٠٠ ق.م. بهدف تخزين مياه الأمطار التي لم يكن هطولها منتظماً لتوفيرها على مدار العام. إذ تزعم إسرائيل أن هذه الأنفاق هي يهودية. وقد شهد شهر أيلول عام ١٩٩٦ م. أهم الأحداث على الساحة الفلسطينية وأكثر الأحداث دموية في تاريخ الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وذلك بعد أن افتتحت إسرائيل نفقاً

أسفل المسجد الأقصى وهو النفق الذي يطلق اليهود عليه (الحشمونائيم) في إشارة إلى جماعة يهودية عاشت مرحلة ما يدّعون أنه الهيكل الأول في حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد. وكانت وزارة الأديان الإسرائيلية ودائرة الآثار قد كشفت عن هذا النفق عام ١٩٨٧م. ويبلغ طول هذا النفق ٥٠٠ متر، ويتجه من الشرق إلى الغرب على طول المدينة.

وبينت مصادر مطلعة أن هناك ثلاثة أنفاق رئيسية تحت البلدة القديمة حيث ينطلق النفق الثالث من مغارة سليمان القائمة في باب الساهرة في وسط المدينة ويتفرع باتجاه باب الخليل وشرقا تحت المسجد الأقصى باتجاه عين سلوان.

وهناك العديد من الأنفاق الغربية المهدمة أو المغمورة في كافة الاتجاهات. وقد ولّدت هذه الحفريات التي جرت من أجل هذه الأنفاق والبحث عن آثار يهودية للهيكل اليهودي المزعوم تحت

المدينة المقدسة خاصة تحت المسجد الأقصى المبارك ولّدت العديد من التصدعات والانهيارات في العقارات والمدارس والمحلات التجارية المجاورة للمسجد كان من ضمنها ما حصل للمدرسة العثمانية والمنجكية، وسقوط البوابة الرئيسية لدائرة الأوقاف في باب المجلس وانهيار باب السلسلة وغيرها.

ورغم وعود إسرائيل بوقف أعمال الحفر والتنقيب تحت المسجد الأقصى المبارك وبمحاذاة أسواره. إلا أنها لم تلتزم كعادتها دائما بل زادت من نشاطاتها التخريبية من خلال الاستمرار في حفر المزيد من الأنفاق والتي كشف عن بعضها مؤخرا وخاصة من الجهة الجنوبية المحاذية للمسجد وقد تبين أن أحد هذه الأنفاق الذي توجد فتحته في الزاوية الجنوبية الغربية تجري به أعمال حفر حيث أكوام التراب مبعثرة مع وجود حبال ورافعات يدوية وسلك كهربائي مزود بمصابيح قد تمتد على طول النفق، ويقع النفق على

عمق ستة أمتار عن سطح الأرض ويمتد على قرابة الألف متر كما يتفرع منه اتجاهان واحد باتجاه الشمال وذلك على امتداد حائط المسجد الأقصى وقد كشف الشيخ رائد صلاح رئيس بلدية أم الفحم حقيقة هذا النفق حيث دخله بنفسه وأكد وجود تفرعات داخله تتجه نحو أساسات المسجد المبارك، إضافة إلى فتحات عمودية امتدت نحو سطح حرم الأقصى من الخارج. وبسبب عتمة النفق وأحيانا ضيق المر الذي يلزم الزحف على البطون لم يكن بالإمكان تحديد موقعها بالضبط.

إن كانت فتحات قنوات تصريف مياه داخل ساحات الأقصى أم هي آبار مفرغة، أم هي شيء آخر.

وتشير بعض المصادر إلى وجود مخطط يهودي تم وضعه منذ سنوات، وبقي سرا، يهدف إلى بناء مدينة دينية وسياحية مستخدمة شبكة الأنفاق والآبار تحت المسجد الأقصى وعلى مساحة

١٤٢ دونما، والحفريات متواصلة والعمل مستمر لتنفيذ المخطط المذكور، وإن يومي الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع يشهدان (طقوسا) يقوم بها متدينون يهود وسط الحفريات المستمرة بشكل مكثف، وإن الحفريات نفذت إلى بئر الورقة الذي يقع أسفل المسجد الأقصى. وهذه الحفريات الجارية تقع تحت مباني المسجد الأقصى وأسفل المصلى المرواني حيث تنفذ إلى خارج أسوار المدينة القديمة جنوبي الأقصى لتصل إلى منطقة الحفريات في الجهة الجنوبية الشرقية من حائط المسجد الأقصى.

المراجع

- الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ومراجعها.

للدكتورة / فاطمة محمد محجوب

- معجم البلدان لياقوت الحموى.
- أخبار البلدان للمقدسى.
- البداية والنهاية - لابن كثير.
- تفسير ابن كثير . تحقيق/ طه عبدالرءوف سعد.
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى .تحقيق/ طه عبدالرءوف سعد.
- سنن ابن ماجه.
- فتـوح الشام - تحقيق/ طه عبدالرءوف سعد.
- فتـوح البلدان - تحقيق/ طه عبدالرءوف سعد.

الفهـــرس